Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى هذا يقول القرآن : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (١) .

وإذا كانت مقادير الله نافذة ، رضى الإنسان أم سخط ، صبر أم جزع ، فإن العاقل ينبغى أن يصبر ويرضى ، حتى لا يُحرم المثوبة ، وإلا فإنه سينتهى رغماً عنه إلى صبر الاضطرار ، الذى ليس له قيمة خُلُقية ولا دينية « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » (٢) .

ولقد عزّى أمير المؤمنين علىّ كرّم الله وجهه رجلاً فى ابن له مات ، فقال : يا أبا فلان ، إنك إن صبرت نَفَذَت فيك المقادير ، ولك الأجر ، وإن جزعت نَفَذَت فيك المقادير ، وعليك الوزر .

وقال الأشعث بن قيس : « إن أنت صبرت إيماناً واحتساباً ، وإلا سلوت سلو البهائم » !

وقال حكيم : « العاقل يفعل فى أول يوم من المصيبة ، ما يفعله الجاهل بعد أيام ».

ومما يندرج فى هذا المعنى أن يعلم أن الجزع والهلع والضيق والتبرم لا تُرّد ما فات . ولا تحيى ما مات ، ولا تُغَيرّ من قوانين الله فى كونه ، وسننه فى خلقه ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (٣) .

وإن التسليم بالواقع هو مقتضى العقل والدين معاً ، وإلا فليفعل ما يشاء من إظهار الكآبة والهلع ، والمبالغة فى التوجع والتشكى ، فهل يُغَيّرُ هذا من الواقع شيئاً ؟ وهل يُبَدّل سنن الله فى الكون ؟ بالقطع لا . وإنما يزيد النفس كمداً وغماً .

وإلى هذا المعنى يُشير القرآن فى خطابه للرسولﷺ حين آذاه موقف قريش منه وتكذيب المشركين له ، وقولهم فيه ما يُحرج النفس ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لاَيُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ

---

(١) الحديد : ٢٢ ـ ٢٣

(٢) رواه البخارى .

(٣) فـاطر : ٤٣ .